معجزة رسول اللّه محمد (صلى اللّه عليه واله) وفق آراء المستشرقين "في دائرة المعارف الإسلامية أنموذجا" قراءة نقدية

م. د أمل حمودي رشيد
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية
amal.h.r@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
تعد المعجزات احدى حجج الانبياء والرسل لأقناع المعاندين والمعارضين، والمتكبرين عن الحق والمشككين، بالرسالات الالهية، وقد جاءت معاجز رسول الله محمد (ﷺ) وخاتم الانبياء والمرسلين على مستوى رفيع من الاعجاز بكل ابعاده، الذي شهدته سيرته العطرة وسجلته المصادر التاريخية الاصيلة، ومنها كتب التفسير التي ألفت على مدى قرون التاريخ الاسلامي، موضحة احداث تلك المعاجز ونتائجها، لاسيما وان تلك المعاجز هي تسديد من الله عز وجل لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه واله من اجل تثبيت دعوته الى الدين الاسلامي، وقد سلط المستشرقون الضوء في هذه المسألة بدائرة المعارف الاسلامية، عند ترجمتهم للنبي محمد(ﷺ)، وكانت لهم آراء فيها، التي اقتصرت آرائهم بان معجزة النبي(ﷺ) على القرآن الكريم فقط دون غيره من المعجزات التي تميز بها وذكرتها المصادر الاسلامية، تم تناول هذه الآراء في هذا البحث وبيان زيف ادعائهم.

الكلمات المفتاحية: رسول الله محمد ، النبوة ، المعجزة، ،القرآن الكريم ، الاستشراق، دائرة المعارف الاسلامية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق اجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين

اما بعد

السيرة النبوية هي احدى ركائز الدين الاسلامي وشريعته الحقة، ومن خلال رواياتها الصحيحة والسليمة يكون اثبات ما جاء بن رسول الله محمد (ﷺ) من صدق دعوته الميمونة، الا ان المستشرقين –المتعصبين منهم- قد عملوا على النيل من شخص الرسول (ﷺ) بكل الوسائل والاساليب، وقد شغلت سيرة رسول الله (ﷺ) العديد من الباحثين، ومنهم المستشرقين الذين كتبوا "مادة محمد" **في دائرة المعارف الاسلامية، فكان لازاما تسليط الضوء على ما كتبه المستشرقين في هذه الموسوعة المهمة، فجاءت فكرة البحث بعنوان (معجزة رسول الله محمد (صلى الله عليه واله) في آراء المستشرقين "في دائرة المعارف الإسلامية أنموذجا" قراءة نقدية) لتشمل ثلاث مباحث تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة تناولت المحاور الاتية:**

المبحث الأول: المعجزة النبوية في الفكر الإسلامي: تناول المعجزة لغة واصطلاحا، البعد التوثيقي والوظيفي للمعجزة في الفكر الإسلامي، المدة الزمنية للبحث.

المبحث الثاني: دائرة المعارف الإسلامية والسياق الاستشراقي: نشأة دائرة المعارف الإسلامية وموقعها في الدراسات الاستشراقية، أهم المستشرقين المساهمين فيها ومناهجهم، الإطار المعرفي الحاكم لتناول قضايا النبوة.

المبحث الثالث: المعجزة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية : عرض وتحليل ونقد المعجزة في "مادة محمد"، ومناقشة مسألة قول المستشرقين بأن القرآن المعجزة الوحيدة، وبيان رأيهم في مسألة الاسراء والمعراج في محور **الاسراء والمعراج في المنظور الاستشراقي**.

واهم المصادر التي تم الرجوع اليها هي المصادر الاسلامية الاولية التي تم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع ، اما المراجع فكان كتاب (دائرة المعارف الاسلامية) المرجع الرئيسي في كتابة البحث. آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول
المعجزة النبوية في الفكر الإسلامي

اولا: المعجزة لغة واصطلاحا:

المعجزة لغة: من الفعل الثلاثي عجز، يعجز عجزا، وهو بمعنى الفوت والسبق، العجز، وهو نقيض الحزم: **"عجز عن الأمر يعجز، وعجز عجزا فيهما، وعاجز عن الشيء.: "وعجز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز. ويقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا"**[1].

اما المعجزة اصطلاحاً: ما عجز الخصم عن التحدي به: **"إذا ضعف ولم يقدر عليه، وهي: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييدا لنبوته، وعرفت بأنها أمر داع إلى الخير والسعادة يظهر بخلاف العادة على يد من يدعى النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله والتحدي لمعارضيه."**[2]. فالمعجزة من شروطها لابد من ان تكون مقرونة بتحدي خالي من المعارضة، فهي: **"داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"**[3]. يُعد القرآن الكريم دستور المسلمين في تثبيت معجزة رسول الله محمد (ﷺ)، فقد تحدى به النبي (ﷺ) القبائل العربية على الرغم من بلاغتهم وفصاحتهم ونبوغهم، الا انهم عجزوا عن معارضة ما جاء به من آيات مباركة، أثبت بها (ﷺ) صدق نبوته وانه رسولا من الله عز وجل جاء بالحق من عنده، بعد ان عارضوه العرب وكذبوه وادعوا بان هذا القرآن الكريم هو من صنع النبي محمد (ﷺ)، هنا جاء الحق بعد أن عجزوا عن الاتيان بمثله او ببعض آياته، فكانت الحجة البالغة عليهم بصدق نبوة رسول الله محمد (ﷺ): " **وإعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا الإخبار عن المغيبات، ولا ،عدم التناقض والاختلاف، ولا، الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة،]ولا إيجاز اللفظ أو كثرة المعنى وليس إعجازه لمعناه فقط، بل هو في المعنى تام كما هو في النظم، ولو كان حاصلا بدون النظم لم يكن مختصا بالقرآن، بل يكون بعض الأحاديث معجزا أيضا، وهذا خرق الإجماع، وإفراد البشر بالذكر لمجرد التصدي للمعارضة، وإلا فالمعجزة ما يكون خارجا عن طوق المخلوق، والقرآن معجز من حيث إنه كلام الله مطلقا، لا من حيث إن بعضه كلام متكلم آخر حكاه الله بلفظه فإنه ليس يلزم أن يثبت له الاعجاز من هذه الحيثية"**[4].

ثانيا: البعد التوثيقي والوظيفي للمعجزة في الفكر الإسلامي:

وردت ابحاث عديدة عن اهم ما يميز المعجزة عن غيرها في البعد الوظيفي من خصائص في الفكر الاسلامي، للدلالة على حدوث تلك المعجزة والتصديق بها، لكي تكون حجة على المكذبين والمعارضين والمعاندين، لمدعي النبوة او الرسالة، ومن اهم هذه الخصائص او المميزات هي[5]:

1- إذ يشترط في المعجزة أن تكون ظاهرة على يد مدّعي النّبوّة: فتكون اكراما له، واكراما لقومه بان يفجر في عقولهم الفكر والبصيرة بصدق دعوى النبي او الرسول، والتفكير المباشر في قدرة الله عز وجل، وهي احدى اساليب القران الكريم في دعواه، بعد ان يقدم الرسول دعواه باساليب مختلفة ومتنوعة منها الاساليب الوعظية والتربوية، وبعد استنفاذ كل الاساليب للنبي او للرسول، يكون

مقتضى الحكمة الالهية تعزيز موقف النبي بالمعجزات كدليل ملموس لصدق دعوته وانه مرسل من قبل الله عزوجل، قال تعالى: **{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**[6].

2- ان تكون خارقة للعادة: وهي كأن تكون حسية او معنوية، ميزتها تارة تكون متوقفة، ولا تحدث الا لمرة واحدة، وتارة تتكرر مرات عدة، الا انها غير مستمرة، ومن الاستحالة انكارها، لان ليس من الاعجاز الاتيان بالامر في نواميسه الطبيعية او الرياضية، ولا حتى عند تكامل العلوم والمعارف، سواء في الزمن المعاصر للمعجزة، او في الزمن المستقبلي، وانما المعجزة لاثبات ان من يقوم بهذا الامر هو الخالق عز وجل الذي بيده ملكوت السماوات والارض، وهو على كل شيء قدير، ولمقتضى الحكمة الالهية قد جرت تلك المعجزة باذنه عن طريق احد انبيائه او رسله، يختص بها احد رسله، بمختلف الازمان، فيخصهم بايآت بينات، ومعجزات ظاهرات، كالتي جاء بها كلا من الانبياء والرسل: نوح، وابراهيم، وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم[7]، ومن معجزاته لنبيه ابراهيم الخليل عليه السلام قال تعالى: **{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}**[8]، وفي احدى المعجزات التي خصها للنبي عيسى بن مريم عليه السلام قال تعالى: **{وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[9] وغيرها من الشهواد التي وردت في آيات القرآن الكريم كثير.

3- **يشترط في المعجزة سلامتها من المعارضة،** وعدم مقدرة المعارضين الاتثيان بها، فهي الدليل على صدق نبوته، وصدق رسالته، فلو استطاع المعارض الاتيان بمثلها، حينها لا تصح نبوته، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}**[10].

4- **يشترط في المعجزة ان تكون موافقة لقول النبي او الرسول، غير مخالفة له:** لان النبي او الرسول انسان مرسل من قبل الله عز وجل، مهمته التبليغ عن رسالات ربه، وليس لديه القدرة على تحديد المعجزة من حيث النوع او الزمان او المكان، وانما هي قدرة خارقة للعادة يهبها الله عز وجل لرسول او لنبيه في زمن معين لحدث معين يقتضي بيان صدق المرسل، وليس من شان النبي او الرسول في تحديد ذلك.

5- **التحدي لإثبات عجز الطرف الاخر:** من المعاندين والمعارضين والمكذبين، هو اقامة الحجة البالغة عليهم، لكي يثبت النبي او الرسول ان هذه المعجزة هي دليل صدق ما جاء به من عند ربه، وهو ايضا في الوقت نفسه دليل عجزهم عن الاتيان بمثل هذه المعجزة، او هذا الامر الذي وقع منه، او فعله، لكي يظهره كدليل وحجة وبرهان على قدرته المستمدة من تسديد الله عز وجل، في تسخير الكون لنبيه، على التحدي، وقطع الطريق على المعارضين في الخوض بان هذا النبي او الرسول ليس لديه القدرة على التحدي منها قوله تعالى:**{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}**[11].

وقد كانت اعظم معجزات رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم ، خاتم النبيين والمرسلين، واكبرها هي القرآن الكريم، الا انها لم تكن الوحيدة فقد وردت في اياته المباركة، بعض معجزاته صلى الله عليه واله وسلم، لما تقتضيه الحكمة الالهية في اثبات نبوته وتعزيز موقفه وشد أزر المؤمنين بنبوته ودعوته، لكي لا تبقى حجة لمعانديه ومعارضيه في القول والفكر، بالاطلاع على البراهين الاكيدة والحجج الدامغ لصدق دعواه، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى* قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ**

أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى}[12]، وهكذا، شكّلت المعجزة في الفكر الإسلامي أداة تثبيت وبيان، ولعبت دورًا محوريًا في تشكيل صورة النبي في الوعي العقدي والتاريخي للمسلمين، ما يجعل تناولها من قبل المستشرقين موضوعًا بالغ الحساسية والأهمية، كما سيتضح في المباحث اللاحقة من هذا البحث.

ثالثا: المدة الزمنية للبحث :

ان المقصود بالمدة الزمنية هي حياة النبي محمد (ﷺ)، التي تقسم بحسب المدة الزمنية الممتدة من ولادته لغاية وفاته بدأ سنة (11 للهجرة)، اي 63 عاما الى أقسام ثلاثة هي:

1- **المدة الزمنية قبل البعثة:** وهي اربعون عاما ممتدة منذ ولادة رسول الله (ﷺ) لغاية البعثة، وكانت هناك العديد من الدلائل على نبوته (ﷺ) منهانّ جمعه القرائن والشَّواهد كونها من الطُرُق الكفيلة بإثبات صدق دعوته، اهمها سيرته المشرقةُ قبل النبوة إذ كانت قريش تسمّي رسول الله(ﷺ) قبل ابتعاثه بالرسالة "محمد الأمين" وتودع عنده أماناتِها الثمينة، وتصديقه لمن جاء قبله من الرسل والانبياء[13]، وكذلك دليل آخر على صدق نبوته مباهلته(ﷺ) مع أهل الكتاب فقد قام (ﷺ) بدعوة طائفة من أهل الكتاب إلى "المباهلة"[14] لصدق دعوته بإثبات حقانيّته، وقال :**(فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبْناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنفُسَنا وأنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الكاذِبِين)**[15]. ومن المُسَلَّم أنّ المباهَلة تنتهي بفناء أحد الفريقين المتباهِلِيْن، ولكنّ النبيَّ محمد (ﷺ) مع ذلك أعلن عن استعداده لذلك، فكانت النتيجةُ أنَّ أهلَ الكتاب لمّا شاهَدوا قاطعيّة النبي (ﷺ)، وثباته العجيب، وكيف أنّه أتى بأعزّ أقربائِهِ إلى ساحة "المباهَلة" وهم (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) ابناء بنته وأهل بيته، من غير خوفٍ أو تهيّبٍ، انسحَبُ النصارى على الفور وعلموا بصدق دعوته وثبات نبوته (ﷺ)، وقبلوا شرائطه (ﷺ)[16].

2- **المدة الزمنية من البعثة لغاية الهجرة:** من مكة الى يثرب –المدينة المنورة، اي من الاربعين لغاية ثلاثة وخمسين عاما من عمره الشريف، وقد استمرت ثلاثة عشر عاما عانى فيها النبي محمد (ﷺ) الكثير من الاذى من قومه بعد ان رفضوا دعوته، وعاندوه، فكانت هذه المدة اكثر شدة على النبي وأهل بيته (عليهم السلام) واصحابه (رضوان الله عنهم)[17].

3- **المدة الزمنية بعد الهجرة:** الى المدينة والتي استمرت من السنة الاولى للهجرة التي اتخذها المسلمين تقويما لهم، في توثيق احداث دولتهم الفتية، واخبار نبيهم صلى الله عليه واله وسلم، لغاية وفاته في الثاني عشر من شهر ربيع الاول للسنة الحادي عشر من الهجرة النبوية[18].

المبحث الثاني

دائرة المعارف الإسلامية والسياق الاستشراقي

أولًا: نشأة دائرة المعارف الإسلامية وموقعها في الدراسات الاستشراقية:

كان أول ظهور لدائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) في بدايات القرن العشرين، إذ اخذت مجموعة مستشرقين أوروبيين على عاتقها كتابة مشروع موسوعي هدفه تقديم صورة شاملة وموسعة عن العالم الإسلامي، تناولته فيه اهم موضوعاته من لغة وتاريخ وثقافة وعقائد. فكان نتاج هذا العمل صدور الطبعة الأولى منه بأشهر اللغات الأوروبية وهي: والإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، وكان ذلك بين الاعوام (1913- 1938)، ثم تبعها بعد ذلك الطبعة الثانية حوالي منتصف القرن العشرين، واستمرت لغاية القرن الحادي والعشرين[19]. إذ يُعد كتاب دائرة المعارف الإسلامية موسوعة ضخمةً ومرجعًا أكاديميًا، يرجع اليه أغلب الباحثين والمؤسسات الغربية عند دراستهم للإسلام وثقافته. إلا أن الباحث المتأمل في محتواها وبنيتها يجد بوضوح تميزها أن

الطابع الاستشراقي يضفي على مقالاتها، منهجه، ولغته، وانتقائه الموضوعات لاسيما مادة رسول الله محمد (ﷺ)[20].

ثانيًا: أهم المستشرقين المساهمين فيها ومناهجهم:

ساهم عدد من المستشرقين دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam)، في كتابة مادة "محمد" (النبي محمد ﷺ)، لاسيما في الطبعتين الأولى والثانية. من بين أهم هؤلاء المستشرقين هم:

1. و. مونتغمري وات (W. Montgomery Watt): مستشرق اسكتلندي وأستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة إدنبرة. اشتهر بكتابه "محمد في مكة" (1953) و"محمد في المدينة" (1956)، اللذين يُعتبران من أبرز المراجع الغربية عن سيرة النبي. ساهم وات في دائرة المعارف الإسلامية بمقالات تتعلق بالنبي محمد ﷺ والإسلام المبكر[21].

2. جوزيف شاخت (Joseph Schacht):مستشرق ألماني-بريطاني متخصص في الفقه الإسلامي والحديث. له إسهامات مهمة في دائرة المعارف الإسلامية، حيث كتب مقالات عن الشريعة الإسلامية وتاريخها. يُعتبر من أبرز الباحثين في مجال الفقه الإسلامي في الغرب[22].

3. مارتين ت. هاوتسما (Martijn Theodoor Houtsma): مستشرق هولندي وأستاذ في جامعة أوتريخت. كان أحد المحررين الرئيسيين للطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية (1913–1938). ساهم في تحرير وتنسيق مقالات متعددة، بما في ذلك تلك المتعلقة بسيرة النبي محمد (ﷺ)[23].

4. هاملتون ألكسندر روسكين جيب (H. A. R. Gibb): هو مستشرق بريطاني بارز وأحد المحررين الرئيسيين للطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية. ساهم في تحرير وتنسيق مقالات متعددة، بما في ذلك تلك المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ)[24].

من الجدير بالذكر أن أعمال هؤلاء المستشرقين قد أتسمت أعمالهم بسمات منهجية معيّنة، من أبرزها:

1- النزعة التاريخية الصارمة التي تُخضع كل رواية لمعايير نقد خارجي دون الالتفات إلى ما تحمله من أبعاد إيمانية.

2- القراءة الأداتية للنصوص، حيث تُفكك النصوص القرآنية والحديثية وفق مقاربات لغوية أو أنثروبولوجية.

3- الافتراضات المسبقة بشأن تطور الإسلام ونشأته، واعتباره ظاهرة ثقافية نتجت عن تفاعلات بيئية وتاريخية، لا عن وحي إلهي.

ثالثًا: الإطار المعرفي الحاكم لتناول قضايا النبوة:

تعاملت الموسوعة مع النبوة بشكل يتجاوز المفهوم الديني الخالص، إذ خضعت شخصية رسول الله محمد (ﷺ) للتحليل، بوصفها شخصية ذات سمة تاريخية مُركّبة، قابلة للفهم من ناحية المنظور الإنساني البحت، بمعزل عن الإيمان بنبوّته (ﷺ). وهذا الأمر انعكس على الأسلوب والمنهج الذي عرض فيه موضوع معجزته (ﷺ). فالمعجزات لم تُعرض بوصفها دلائل يقينية على الرسالة، بل قُدّمت غالبًا ضمن إطار سردي تشكيكي أو رمزي. كما استُخدمت تعبيرات حيادية مبهمة أو الفاظ تفكيكية، مثل: "يُروى"" و"قيل"، وفق المعتقدات الإسلامية"، وهي عبارات من الناحية اللغوية تُضعف من قيمة الحدث التاريخي، وتنزع عنه اهم ركن وهو التوثيق[25]. هذه الخلفية تُعد مدخلًا مهمًا لفهم السياق الذي كُتبت فيه مقالات الموسوعة حول النبي محمد (ﷺ) ومعجزاته،

وسيتم تناولها بشكل تفصيليًا بالمبحث التالي عن طريق تحليل مادة " النبي محمد (ﷺ)" بقراءة ما ضمّنته من إشارات عابرة حول معجزاته (ﷺ).

المبحث الثالث
المعجزة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية
عرض وتحليل ونقد

أولًا: تحليل المعجزة في مادة "محمد"

بدأ الحديث عن المعجزة لأول مرة عندما تم تناول موضوع معرفة الرسول للقراءة والكتابة، ومناقشة كلمة (الأمي) الواردة في الآيات القرآنية المباركة، بان مفهوم المعجزة: **"وردت في الدوائر الدينية كتدليل على معجزة تُلقي محمد(ﷺ) الوحي من الله عن طريق جبريل (عليه السلام)"**[26].

وفي نص آخر ورد فيه لجوء النبي محمد الى القرآن الكريم لإثبات نبوته هو: "وتتبع قوة محمد (ﷺ) من إحساسه بأنه يعيش في عالم ذهني أسمى لا يرقى إليه المشركون، وأن ما يوحى إليه من عند الله: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}[27].وكثيرا ما يشير القرآن الكريم بحق إلى افتقار أعدائه الى المنطق إذ يعترفون بأن «الله» هو الإله الحق دون استنباط النتائج المنطقية من هذه الحقيقة. غير أن حتى أكثر حججه إفحاماً لم تفلح فى اختراق لسدّ المنيع الذي أقامه تعصبهم على أساس من مصالحهم المادية. وحين كان خصومه يهزأون به إذ لم يتحقق مـا أنذرهم له من عقاب الله: {وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب}[28]، ذكر القرآن الكريم أن أقوام الأنبياء قبله كذبوهم فحق عليهم بتكذيبهم أشد العقاب"[29]

ثانيًا: القرآن المعجزة الوحيدة:

صرح المسترقون في كتاب دائرة المعلا ف الاسلامية على ان القرآن الكريم هو معجزة رسول الله محمد الوحيد التي اتى بها اثناء حياته بالقول: **"وقد رأت الآيات المتأخرة في القرآن الكريم، كلام الله الذى لا يدانيه شيء، الذي أوحى إلى يتيم عربي قيل إنه لا يعرف القراءة أو الكتابة. معجزته الوحيدة. ويحمل هذا الاعتقاد في طياته افتراض أن محمدا (ﷺ) كان بشرا كسائر البشر، ليست له قدرات تسمو على قدرات البشر. وكثيرا ما يشير القرآن الكريم إلى أنه إنسان كغيره من الناس وأنه ملاق الموت: {إنك ميت وإنهم ميتون}[30]؛ {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، أفإن متّ فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون}[31]؛ {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...}[32]. وهذه بالضبط هي النقط التي شعرت إزاءها الأجيال التالية من أتقياء المسلمين بعدم الرضا ولذلك فسرعان ما نجد المسلمين بعده مدفوعين بلا شك بمجادلاتهم مع المسيحيين-يحيطون شخص. النبي (ﷺ) وحياته بهالة من الأمور الخارقة."**[33].

وفي موضع آخر يؤكد المستشرقون على آرائهم تلك بقولهم: **"إن الصعوبة الكبرى كاتب سيرة محمد (ﷺ) في كل صفحة هي أن المصادر الأولى لم تذكر شيئا - ولم يكن بوسعها أن تذكر شيئا – عن السر الحقيقي لنجاحه وقوة شخصيته المذهلة وقدرته على التأثير فيمن حوله، فكتاب السيرة المسلمون الأوائل كانت نقطة البداية عندهم الإيمان بأن أعماله العظيمة وانتصاراته الباهرة لم تكن من صنع بشر، بل هي براهين إلهية على أن النبي (ﷺ) إنما كان يأتى به طاعة لله. صحيح أن القرآن الكريم يعرفنا بالسور العظيمة التي أوحى بها اليه فى البداية والتي تؤثر فينا اليوم تأثيرها وقت تلاوة محمد (ﷺ) لها أول مرة. كذلك فإن بوسع المؤرخين المحدثين أن يروا مواهبه السياسية الخارقة التي كثيرا ما أبداها خلال سنوات إقامته في المدينة. إذ من ذا بوسعه أن ينكر أن**

القائد في معركة بدر أو المفاوض في الحديبية هو رجل فائق الذكاء، وذو مهارة دبلوماسية خارقة، غير أن هذه الدلائل على عبقرية محمد (ﷺ) التي تظهر بوضوح في كتب السيرة هي مجرد لمحات خاطفة متفرقة، وعلينا في معظم الأحيان أن نستطلع الأمور الجوهرية من بين السطور."[34]. يتضح من النصوص السابقة الذكر أن إشكالية المستشرقين تكمن في سعيهم لفهم الدين الإسلامي من الداخل -اي حياة النبي محمد (ﷺ)- وذلك عن طريق استخدام أدوات ومنهج البحث الغربي الاوربي، وبين الحس التأويلي عن طريق تعامله مع الظاهرة الدينية الاسلامية في حياة النبي (ﷺ) بوصفها {بناءً روحيًا لا يمكن اختزاله في معايير العقل المحض}. ومن هذا المنطلق والرؤى، يتضح تأثير هذه الرؤية على الفكر الغربي، وانه لم يكن مجرد تفكيك أو تشكيك أو تأريخ، وانما أدت هذه الافكار إلى التشكيك في مصدر القرآن الكريم ومكانة النبي محمد (ﷺ)، مما دفع بعض الباحثين والمفكرين الغربيين لمراجعة تلك الصور والتصورات غير المنصفة والبعيدة عن الواقع التاريخي للمعجزة. يتضح مما سبق ذكره أن قراءة المستشرقين في دائرة المعارف الاسلامية لمعجزة النبي في تلقي آيات القران الكريم، قد شابها النزعة الوضعية بصورة مبالغ فيها، مما ادى الى فتح باب غير مباشر لإعادة النظر في مسألة النبوة ومسألة الوحي في الفكر العالمي لاسيما الاوربي منه. لآن هذه الرؤى الاستشراقية لم تكن منصفة في حق النبي محمد (ﷺ)، وفي الوقت نفسه منحت للباحث المسلم مسألة جديدة هي التأمل في كيفية تقديم صورة النبي (ﷺ) **وصورة** الوحي والمعجزة في لغة حضارية ترتبط بالعقل وتوقظ الإيمان المطلق بنبوة محمد (ﷺ).

ثالثًا: الاسراء والمعراج في المنظور الاستشراقي:

ذكر المستشرقون معجزة الاسراء والمعراج التي هي من الامور الثابتة في السيرة النبوية على انها حدث جرى للرسول محمد (ﷺ) في حياته ذكرته كتب السير بالقول: "وتذهب بعض كتب السيرة إلى أن قصة حدثت خلال اء الشهيرة هذه الفترة العصيبة من حياة محمد ويقص ابن سعد قصة المعراج ثم قصة الإسراء على أنهما حادثتان مستقلتان وقعتا بعد زيارة محمد للطائف. بل إنه يذكر تاريخين محددين لهاتين الحادثتين، قائلا إن معراج النبي إلى السماء من موقع قرب الكعبة بين مقام إبراهيم (وزمزم حدث في ليلة السبت ٢٧ من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، وأن الإسراء به ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس حدث في الليلة السابعة عشرة من شهر ربيع الأول السابق للهجرة. والمعروف أن الروايات المتأخرة تربط بين هاتين القصتين في سياق واحد. وينبغي أن تذكر أيضا أن روايات أخرى فى كتب السيرة تنسب هذين الحدثين إلى تواريخ متباينة من حياة النبي بعد تكليفه بالرسالة"[35]. وعند الرجوع الى النص يتبين ان المستشرقين قد جردوا هذا الحدث التاريخي المهم في حياة النبي ومعجزته في اختراق السموات وقبلها الانتقال ما بين الحجاز الى القدس بمدة زمنية يسيرة على انه حدث فقط ، وبهذا فانهم نزعوا منه مفهوم المعجزة بتاتا، واستعرضوه على انه حدث تاريخي فقط. وللرد على هذه الآراء وبشكل وجيز لا بد من ذكر ان رسول الله محمد قد أتى بمعجزات عديدة لا حصر لها غير القرآن الكريم، والأسراء والمعراج منها على سبيل المثال لا الحصر مسألة شَقّ القَمَر، لما طلب مشركو قريش من رسول اللهِ (ﷺ) أن يشقّ القَمَر نصفين، كدليل على إثبات نبوته، وشرطوا هذا الطلب بإيمانهم برسالته، وإيمانهم بنوبته، فقام النبيُّ(ﷺ) بشق القمر بإذن الله تعالى، كما يقول القرآن الكريم: **(إِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ* وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُستَمِر)**[36].

الخاتمة:

بعد أن تمت دراسة آراء المستشرقين الاوربيين في دائرة المعارف الإسلامية عن معجزة النبي محمد (ﷺ)، أتضح امور عدة اهمها :

- مثلت دائرة المعارف الإسلامية مرآة فكرية دقيقة لرؤية استشراقية تجاه الوحي، لاسيما في مصدر تلقي النبي الرسالة وابلاغها، إذ حاول المستشرقون -كل بحسب خلفيته الفكرية ومنهجه البحثي- الى تفكيك مفهوم الوحي والنبوي عند النبي محمد(ﷺ) ، مسلطا الضوء على بُعده البشري التاريخي فقط، وبين طبيعته التي سموها بالخارقة التي تُمثل بها (ﷺ)، في التصور الاستشراقي، نحو المعجزة النبوية.

- يتضح ان تعامل المستشرقين مع معجزة لم يكن من منطلق التسليم بها كواقعة غيبية تدل على نبوته، وإنما هي تأويلات تأريخية او عقلانية ، سعوا لتفسيرها ضمن الإطار ثقافة البشر لعصر النبي (ﷺ). فقد ركز بعضهم، أمثال مونتغمري وات، وركزوا كذلك على البُعد الأخلاقي والنفسي في شخصية النبي محمد (ﷺ)، معتبرين تجربته الروحية (ﷺ) ذات عمق إنساني مميز، في حين رأى مستشرقون آخرون، امثال جولدزيهر وشاخت، أن نشأة القرآن الكريم يخضع لتأثيرات معرفية داخلية وبيئية تتعلق بشبه الجزيرة العربية.

- شكّلت مادة ‘‘محمد’’ في "دائرة المعارف الإسلامية" أرضية معرفية خصبة للباحثين الاوربيين على وجه الخصوص ، وقد أثرت الفكر الغربي لاسيما الاوربي في طريقة تعامله مع الإسلام ونبيه الكريم(ﷺ). إذ ساهمت تلك المقالات في رسم صورة مركبة عن النبي تتراوح بين الاحترام الأكاديمي والنقد التاريخي، ادى الى تعميق حضور هذه الشخصية في الذهنية الغربية، كرمز ديني وكفاعل إنساني اصلاحي وحضاري.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

اولا: المصادر الاولية:

1- ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ/ 768م) ، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تح: سهيل زكار، ط1، (دار الفكر، بيروت، 1398هـ /1978م).

2- التهاوني، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد (ت بعد: 1158هـ/ 1745م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج ، الترجمة للعربية: عبد الله الخالدي، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1416هـ/ 1996م)

3- الجرجاني، علي بن محمد (ت: 816هـ/1413م)، لتعريفات، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1357ه / 1983م)

4- قطب الدين الراوندي، ابو الحسين، سعيد بن هبة الله (-: 573ه/ 1177م)، الخرائج والجرائح، تح: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، ط1، (المطبعة العلمية، قم المقدسة، 1409ه/ 1989م)

5- الكفوي، ابو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ/ 1682م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، د.ت).

6- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ-1314م)، لسان العرب، ط1، تح: صلاح المنجد ،(دار صادر ، بيروت ، 1376هـ/1956م).

7- ابن هشام، جمال الدين، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت: 213هـ/ 828م)، السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط2، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1375هـ/1955م).

المراجع الحديثة:

8- بديوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (دار العلم للملايين، بيروت،1412هـ / 1992م)،

9- الجمل، احمد عبد الغني الجولي، هجرة الرسول والصحابة في القرآن والسنة، (دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1409ه/ 1989م)،

10-مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، مقدّمة الطبعة الأولى القاهرة، 1933م

11-عبد المنعم، محمود عبد الرحمن معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (دار الفضيلة، د.ت).

12-العقيقي، نجيب، المستشرقون، ط3،(دار المعارف القاهرة–مصر، 1384هـ/ 1964م).

ثالثا: الرسائل والاطاريح:

13-رشيد، أمل حمودي ، أهل البيت في مؤلفات الذهبي (ت: 748ه/ 1348م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،/ كلية التربية للبنات، 2016ه.

14-رشيد، أمل حمودي، السيرة النبوية في الاستشراق البلجيكي (هنري لامنس أنموذجا) ، اطروحة دكتوراه، جامعة سامراء، كلية التربية، 2022.

هوامش البحث:

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ–1314م)، لسان العرب، ط1، تح: صلاح المنجد ،(دار صادر ، بيروت ، 1376هـ/1956م)، ج5، ص369 .

(2) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (دار الفضيلة، د.ت) .

(3) الجرجاني، علي بن محمد (ت: 816هـــ/1413م)، لتعريفات، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1357ه / 1983م)، ج3، ص314.

(4) الكفوي، ابو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ/ 1682م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، د.ت)، ص150.

(5) التهاوني، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد (ت بعد: 1158هـ/ 1745م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج ، الترجمة للعربية: عبد الله الخالدي، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1416هـ/ 1996م) ، ج2، ص1575 .

(6) سورة البقرة، الآية 118.

(7) قطب الدين الراوندي، ابو الحسين، سعيد بن هبة الله (-: 573ه/ 1177م)، الخرائج والجرائح، تح: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، ط1، (المطبعة العلمية، قم المقدسة، 1409ه/ 1989م)، ج1، ص2.

(8) سورة الانبياء، الآيات 69-70.

(9) سورة ال عمران، الآية 49.

(10) سورة الحج، الآية 73.

(11) سورة الاسراء، الآية 88 .

(12) سورة طـــه ، الآيتان 134-135 .

(13) ابن هشام، جمال الدين، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت: 213هـ/ 828م)، السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط2، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1375هـ/1955م)، ج1، ص4-5.

(14) المباهلة: هي الملاعنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا، ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص72 .

(15) سورة آل عمران، الآية 61 .

(16) مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص1871؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص225 ؛ رشيد، أمل حمودي ، أهل البيت في مؤلفات الذهبي (ت: 748ه/ 1348م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،/ كلية التربية للبنات، 2016ه، ص46.

(17) ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ/ 768م) ، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تح: سهيل زكار، ط1، (دار الفكر، بيروت، 1398هـ /1978م)، ص17.

(18) ابن اسحاق ، السيرة النبوية لابن اسحاق، ص131؛ ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ج1، ص590؛ الجمل، احمد عبد الغني الجولي، هجرة الرسول والصحابة في القرآن والسنة، (دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1409ه/ 1989م)، ص59، 63، 66.

([19]) تمت الطبعة العربية الأولى عام 1933م، ثم تلتها الطبعة الثانية عام 1969م عن دار الشعب القاهرة، ثم قام مركز الشارقة للإبداع الفكري بطبع الموسوعة كاملة طبعة أولى عام 1998م تحت إشراف أ.د. محمد سمير التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة، وقام حسين أحمد أمين بترجمة مادة "محمد " المحرَّرة في الموسوعة..

([20]) الجنة الترجمة: دائرة المعارف الإسلامية، مقدّمة الطبعة الأولى 1933م.

([21]) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص544، .

([22]) بديوي ، عبد الرحمن موسوعة المستشرقين للدكتور ، (دار العلم للملايين، بيروت، 1412هـ/ 1992م)، ص245.

([23]) العقيقي، المستشرقون، ج1، ص141.

([24]) المصدر نفسه، ج2، ص476.

([25]) رشيد، أمل حمودي، السيرة النبوية في الاستشراق البلجيكي (هنري لامنس أنموذجا)، اطروحة دكتوراه، جامعة سامراء، كلية التربية، 2022، ص35.

([26]) دائرة المعارف الإسلامية، ج23، ص9121.

([27]) سورة الأسراء، الآية 88.

([28]) سورة ص، الآية 16.

([29]) دائرة المعارف الإسلامية، ج23، ص9119.

([30]) سورة الزمر، الآية 30.

([31]) سورة الأنبياء، الآيتان 34-35 .

([32]) سورة آل عمران، الآية 144.

([33]) دائرة المعارف الإسلامية، ج23، ص9158.

([34]) المصدر نفسه ، ج23، ص9157.

([35]) دائرة المعارف الإسلامية، ج23، 9124-9125.

([36]) سورة القمر، الآية 1-2.

Abstract:
Miracles are one of the arguments used by prophets and messengers to convince those who oppose, reject, and doubt the divine messages. The miracles of the Messenger of God, Muhammad (peace and blessings be upon him), the Seal of the Prophets and Messengers, were of a high standard in all their dimensions, as witnessed by his fragrant biography and recorded in authentic historical sources, including the books of interpretation that were written over the centuries of Islamic history, explaining the events and results of these miracles. Orientalists have highlighted this issue in the Encyclopedia of Islam, when they translated the Prophet Muhammad (PBUH), and they had opinions about it, which limited their opinions to the fact that the miracle of the Prophet (PBUH) was the Holy Qur'an only, without any other miracles that distinguished him and were mentioned in Islamic sources. These opinions were addressed in this research, and the falsity of their claim was demonstrated.
Keywords: Prophet Muhammad, prophecy, miracle, the Holy Quran, Orientalism, Encyclopedia of Islam